



الفارس: أين حراس أمير المؤمنين؟
 أتراه من غروب الشمس غطوا نائمين؟
 وعلام الباب مفتوح أمام الوافدين؟
 أهو قصر، أم طريق عبدة للعابرين؟
 الفارس (وهو يجيل بصره في أثاث الحجرة الرث):
 ويح رجلي!
 أخطت سهواً إلى كوخ لبعض الناسكين؟
 لا أرى غير بساط رث من قرّ السنين
 وحشايا من بقايا الفابرين
 ومصلى كاد يبلى من جباه الساجدين
 وكتاب الله في المحراب، في ركن ركين
 الفارس (وهو يتجه إلى الباب الأيمن):
 فلأبارح، قبل أن أطرده طرد الواغين
 (ثم يلتفت إلى صدر الحجرة):
 أوما كان هنا عرش سليمان بن عبد الملك؟
 مشرقاً كالشمس إذ تلو بروج الفلك
 أمضى بالعرش عفريتاً؟



د. غازي طليمات - سورية

المشهد الأول

(يرفع الستار عن حجرة مضأة بشمعة هزيلة، وفي الحجرة أثاث، وبابها الأيمن مفتوح على الشارع، وبابها الأيسر يفضي إلى حجرة أخرى، يدخل من الباب الأيمن فارس مدجج بالسلاح بعد أن يقرع الباب، فلا يجيبه أحد).

فأبقى قصره في حلك؟

رحم الله سليمان، قد اختار عمر

خلفا، والشمس لا يخلفها إن غربت مثل القمر
(الفارس وهو يتجه إلى الباب مرة أخرى):

فلأبارح

(يخرج من الباب الأيسر إلى الحجرة رجل يحمل
بين ذراعيه مجموعة من الطوامير والأوراق):

لا تبارح

أنت في القصر الذي يممته، يا مسلمة

أنا فيه خادم، يكرم من حل به، أو يمم

(يلقي ما يحمل ويعانق مسلمة بن عبد الملك):

مرحبا،

أنت أحق الناس أن أكرمه، أن أخدمه

كيف خلفت ثغور السند والصغد؟

مسلمة: لقد تم الظفر

ونشرت الأمن والعدل عليها، يا عمر

لا بسيفي أو بخوض المعركة

بل بما أوليت ما جاورها من مرحمة

من سنى عدلك لا من منصلي شع ضياء

المكرمة

(يدخل كهل مسرع الخطوات ويتجه نحو عمر بن

عبد العزيز)

عمر: يا ابن حيوة

لم تأخرت؟

عمر (مشيرا إلى الأوراق):

وعندي ألف شكوى

أو تلهو عن حقوق الناس؟

رجاء بن حيوة: لا والله، ما قارفت لها

جاء وفد من بلاد الصغد

(رجاء يقترب من رأس عمر ويناجيه)

عمر: أدخله بلا همس ونجوى

رجاء (وهو يشير إلى مسلمة):

وحقوق الضيف؟

عمر: لا تبطل حق المشتكى من مظلمة

أدخل القوم لتلا يبصروا في الأمر إهمالا وسهوا

أدخل القوم، فما أقدمهم إلا معاناة وبلوى.

رجاء: أنغفو عن شكاة؟

عمر: لا أذاق الله أهداك غفوا

مسلمة (بعد خروج رجاء):

لم لا تمهلهم حتى غد؟

ثم ترى في الأمر رأيا

عمر: فأطوي الحق طول الليل؟

هبنى شئت، لا أستطيع طيا

فحقوق الخلق لم تبق من النوم لأجفاني بقيا،

لست أدري، هل سأقضي نحبى الليلة أم للغد

أحيا؟

(يعود رجاء مسرعا ومعه ثلاثة رجال يرتدون

ثيابا صفدية الأزياء).

الصفدي الأول: (وهو ينحني) أسعد الله أمير

المؤمنين.

الصفدي الثاني: (منحنيا أيضا) وحباه المجد

والعزة والملك المكين؟

الصفدي الثالث: وحبانا بعض ما يحبو من العدل

جميع المشتكين.

عمر: انهضوا تركعوا إلا لرب العالمين..

ما الذي أقدمكم؟

الأول: ظلم تجرعناه من سبع سنين

الثاني: منذ أن صبحنا جيش قتيبة^(١).

الثالث: لم يبادرنا بإنذار، ولو أنذر بادرنا بأهبة

أو أجبناه لما يطلب عن حب ورغبة.

عمر (متجها إلى مسلمة): ما يقول السيف في

شكواهم يا مسلمة؟



مسلمة: أو يمضي كل ما يقضي به
سيفي قضاء المحكمة؟
عمر: إن قضى بالحق، لا نمضيه
حتى نعلمه

ثم نستفتي بما يقضي على
المشكوك، كيلا نظلمه.

مسلمة: رحل الخصم الذي
يشكونه، أعني قتيبة

فلماذا تبش القبر؟

وماذا تجتني من نبش تربة؟

هل ستحييه لكي تقتص منه؟

عمر: بل سأبقي شرعنا حيا، لئلا
يتردى بعد حقبة

مسلمة: لو نزعنا حجرا من قبره

وزرعنا ريبة في نصره

لتداعى ألف حصن شاده في عمره

وغرانا الشرق بحرا مائجا في زخره

يطلب الثأر، فيعيا بأسنا عن دحره

عمر: فلنفض الطرف عما كان

عين العدل لا تغمض طرفا

أو تعيد الحق للمظلوم صرفا

عوده بالعهد والذمة أوفى

وهو للمؤمن ممن يشتقي بالسيف أشفى

مسلمة: إن ما يشفيك قد يمرض آلافا صحاحا

قد يثير الكر والفر، وقد يدمي البطاحا

ويضري نسل يأجوج ومأجوج

إذا أبديت ضعفا

أو تقاضيت إلى الحلم، ولم تستفت سيفا

عمر: حسبنا ما قلت، ولنصغ إلى فتوى (رجاء)

عمر (متجها إلى رجاء بن حيوة):

اقض ما أنت به قاض، وأنصف يا ابن حيوة

غير معتر بسultan وقوة.

أبيع الشرع للسيف اجتياح الناس عنوة؟

رجاء: لا يبيع

غير أن النقض بعد العقد بالأمن يطيح

فلماذا نستثير الريح؟

عمر: إن العدل ريح..

تقلع الظالم من الأرض، فليس الحكم نزوة

رجاء: (بعد تفكر وتدبر): أسلم الآراء عقبى ما رآه

مسلمة

خذ بما قال، وأرض الوفد بالرفد، وشجب

المظلمة

بعد العهد بشكواهم

وبعد العهد قد يأسو الجروح

أرض رسل الصند، لا تنكأ من الماضي القروح

أرضهم، ما فات مات.

فلماذا تنفخون الروح فيمن مات، والميت رفات؟

الصفدي الأول: ثم يموت، لو مات ما جزنا إليك

الفلوات

مسلمة (مشيرا إلى الوفد): أمن العدل شموخ
السفح

(ثم مشيرا إلى نفسه): يا ويلي، وتهديمُ القمم؟
عمر: بل سأبنيها، ولكن بالسجايا والمزايا والقيم
أمتي لا تبتني المجد بأنقاض الأمم
لستُ فرعونَ الذي يعلي بأجساد رعاياه الهرم
ثم يثوي جيفة فيه كما تثوي الرّمم
رجاء: يا أمير المؤمنين

هل ستملي، بعد
عمر (مشيرا): حسبي ما هرقنا وهرف
نحن لا نبحت عن قمة مجد نرتقيها، أو شرف
أو عن النصر، وإن فاض علينا بالترف
بل عن العدل الذي يسعد كل البائسين
من عباد الله مَنْ أسلم، أو دان بدين المشركين
ادفع الطرس إلى الوفد وزوده بما ينفق من غير
سرف

مثما ينفق في العيش أمير المؤمنين
ثم أتبعه عيونا، ترقب الوالي وتأتي باليقين

البشهاد الثاني

(يرفع الستار عن سُرادق كبير، يتصدره
القاضي جُمَيْع بن حاضر، وأمامه سليمان بن أبي
السريّ والي سمرقند وأعيان الصغد بملابسهم
الوطنية)
القاضي: باسم من أسماؤه الحسنی تضمّ العدل
والحق المبين

واضع الميزان والقسطاس للمختصمين
ينصت القاضي جُمَيْع لشكاوي المشتكين
غير منحاز إلى لون ولِسْن أو إلى قربي ودين
أحد الصغد: كيف نشكو الظلم، والمشكوك منه قد
مضى؟

الثاني: لم يمّت، لما تزلّ في سمرقند السوح ريًا
بالدماء

الثالث: لم يمّت، لومات لم تجهر لها بالدعاء
لم تبج السنن بالشكاوت
عمر (متجها إلى رجاء ومسلمة) أخطأ العابد والقائد
فيما زعما
عمر (متجها إلى الوفد): وأصبتُم، لا يموت الحق
مهما قدما

نحن لا نغزو لكي نجبي أموالا، ونرقى قمما
بل لكي نهدي ضللا، ونرعى ذمما
عمر (متجها إلى رجاء): هات قرطاسا وحبرا وبراعا
يا ابن حيوة

ليس حكم الناس بالقسطاس تسويفا لغزوة
قد غزاها فاتح الشرق قتيبة
ثم ولّى قبل أن يصلح ما أفسد أو يعلن توبة
هات قرطاسك واكتب ما سأملي
بعد ما شاورت فيما قلتما عقلي ونقلي:
من أمير المؤمنين

عمر المسؤول يوم الدين عن كل شكاوي المشتكين
من ذرى الأطلس حتى الصين
والويل لمن يحكم حكم الغافلين
لسليمان أمير الصغد والي سمرقند:
تجمع القاضي «جُمَيْعاً» بوجوه الصغد من أهل البلد
فيقاضيهم بشرع الله من غير اعتساف ولدّد
ثم تمضي كل ما يفتي به القاضي ويقضي
ساريا، من غير تعديل ونقض
نافذا، من غير تأجيل ورفض

مسلمة (وهو يهم بالخروج غاضبا): عجبا!!
جئتُك بالبشرى وبالنصر، فجوزيتُ بالألم
جئتُ مزهوا بما أنجزتُ، والآن تساقيني الندم
كل ما شيّده سيفي سيرديه «رجاء» بقلم



هل ستحييه، وتحيي مَنْ قضى؟

القاضي: لا، سأحيي العدل في هذا الربوع

أرجع الحق إلى المظلوم

الصغدي: هيهات الرجوع!

صغدي آخر: فحقوق الصغد لا يرجعها ذرف الدموع

واعتذار فوق أحداث الضحايا وخشوع

القاضي: هذه محكمة لا مأثم

بحماها يحتمي كل بريء، ويُدان المجرم

بالذي شرّعه الرحمن لا الشيطان دوماً تحكم

تتصف الإنسان أيّما كان، في كل زمان ومكان

فافضحوا من غير خوف ما جنى المتهم

صغدي ثالث: قبل سبع السنوات الخاليات

وعيون السمرقنديين غرقى في السبات

وبشير الفجر يأتي من وراء الفلوات

يفتق الديجور بالنور، يشق الظلمات

كرت الخيل كروور السيل من سفح جبل

فاذاً سوح سمرقند زخوف وسيوف وأسل

وحتوف تفجأ النائم والأمن والشيخ الأشل

القاضي: أوما أنذركم قبل قتيبة؟

قبل أن يستل سيف الغزو، أو يبدأ حرب

صغدي رابع: لا، بل انقضّ انقضاض الصقر محموم

المخالب

يفرس الفرسان، والفرسان عزل لا تحارب

صعقتهم فجأة الهجمة، فروا كالأرانب

القاضي: أو ما كان حوائي سمرقند الصغد سور

وقلاع؟

وعيون ترصد الأعداء كيلا يفجؤوها، فتراع

الصغدي الأول: لم تكن نلتمس الأمن بإرصاد

العيون

أو بيت الجند والحراس في أعلى الحصون

بل بحصن خلقي، قد بناه المسلمون

القاضي: عجباً من قول هذا القاتل!

كيف تحمي رأس مقتول حصون القاتل؟

أيلام الليث في عريسه إن دق عنق الواغل؟

الصغدي: إنه الحق الذي تدعونه في دينكم عين

اليقين

وبه سُدتم وقُدتم، لا بطغيان يروع الأمنين

القاضي: ما الذي تمنيه؟

الصغدي: أعني أنكم أهل شريعة

شرف الغاية لا يسمح فيها بأباطيل الذريعة

وخيل الحرب لا تسهل ما لم ينكفئ صوت

السلام

خاسئاً، يرفضه الخصم، ويختار الصدام

أرفعتم راية الدعوة والسلام، فلذنا بالحسام؟

أم طلبتم جزية منا، فأثّرنا الخصام؟

فلماذا لم يخيرنا قتيبة؟

بين إسلام وتسليم وضربة؟

القاضي: أوما خيركم من قبل أن يبدأ حرب؟

الصغدي: بيت الغدر، ولم نعهد لديكم قط غدرا

وغزا الثغر لكي يحرز نصرا

خالف الشرع، وقبل الجهر بالدعوة كرا

دمر الحصن الإلهي، فزاد الصغد شرا

أفهمت للغز أم ما زال لغز الحصن سرا؟

القاضي: فهم القاضي، ومن يفهم حكم

ووعى ما في خفايا اللغز من سر التهم

وأدار الحكم في ذاكرة التاريخ، تاريخ الأمم

فرأى الرأي الذي لم يره قبل حكيم أو حكم

أحد الصغد: ويلتا مما رأى القاضي وقدر

لا أرى الإنصاف، بل أبصر في سحنته مكر

يدبر

ما أراه غير ذئب لافتراس يتنمّر

كانبثاق البرق عند الصعق من جوف الديم

والعذارى رتعت فيها
مصونة...

خرج الوالي وكل العرب
الأغراب، لا يبقى أحد
في سمرقند سوى أهل البلد
وتولى الحكم من يختاره
الأهلون من أهل الرشد
من خيار الصفد لا من جلب
الجند بقايا الغزوات
الشيخ الصفدي (ساخرا): ثم
تأتون كما بارحتمونا
القاضي: لن ترونا أبدا
لن ترونا قبل أن يأتيكم منا
بشير بالهدى
أو نذير بالردى



(الصفد يتحلقون حول

الشيخ ويتهامسون ويتشاورون)

الشيخ (مخاطبا القاضي): قد تشاورنا.. أتدري ما
تخيرنا؟

تخيرنا الهدى

وجعلنا ذلك الحكم الإلهي من الظلم الفدى

فامكثوا أهلا وإخوانا وحكاما لنا، أو مددا

(يتعاقق الوالي والقاضي وسراة الصفد

ويسدل الستار على صدى الأبيات التي ينشدها

المتعاققون):

ما رأى التاريخ في الدنيا كهذي المحكمة

ما رأى المظلوم يستعدي أخا من ظلمة

ما رأى انقاهر يكسو جسد المقهور ثوب الرحمة

فإذا الأضغان حبّ وصفاء

والحزازات وفاء وإخاء

وجميع الخلق في الحق سواء ■

فارفضوا الحكم إذا جار عليكم، أو ظلم

فهو ممن حاكموا أو حكموا أدهى وأغدر

(بعد شغب وصخب بين الصفد ينهض شيخ

منهم)

الشيخ: قد تخوَّفتم وخوَّفتم، ولما يُصدر الحكم ابنُ
حاضر

قدعونا نستمع، إني بما يقضيه ناظر

فإذا أجحف ثرنا ونفرنا بالمواضي لا الحناجر

وإذا ما أنصف القاضي غفرنا كل غابر

القاضي (ناطقا بالحكم): يحمل الوالي سليمانُ

جميع التبعات:

من بناء ودماء وترات

فيؤدي للثكالي واليتامى وذوي القتلى الديات

ويشيد الحصن والأسوار صونا للمدينة

بزنود الجند لا الصفد، فإذا عادت حصينة...

والذراري والجواري هجعت آمنة فيها أمانة...